

فلسفة العرب * جملة مرسله

جناب عزتو حسن انندي بهم

لما كانت الفلسفة عبارة عن معرفة حقائق الاشياء بنوايسها وكانت وهي أم العلوم العقلية طبيعية في الانسان من حيث انه ذو فكر وكل فكر الى الاطلاع على كنه الامور مبال كان من الواجب النظر فيما كانت عليه فلسفة العرب ليعلم عظم ادراكهم ودرجة ما وصلوا اليه لان ادراك كل قوم يعرف باستعمالها . ولهذا احببت ان اتحف القراء الكرام قراء المتنطف بجمل مرسله اي غير متبذرة بقضية او بحث في فلسفة العرب اقتصد بها سرد تاريخها عندهم منذ نشأتها ومصادر اخذها وطرقهم اليها ومناهم بها وما اقروء وما نبدو وما زادوه والغاية التي وصلوا وتوصلوا بها اليها ثم اهاهم لها وضعفها وتلاشيها كل ذلك جمعة جمعا ملخصا من اشئنا سطور ففيها العلماء فمسي يشمل جمعي المراد ويفر دله باب في المتنطف الأغر يدخل منه الى الصدور

لقد كانت العرب في عصر الجاهلية اعصر الظلمات بضئك وجهيد من العيش ذوي بني والحاد وقطع للقرابة ونافس في الردي وعبادة الاوثان اكلم الحشرات واشرف طعامهم اوبار الابل امرؤها بالدم وكان تنافسهم بالمؤودة والسائمة والوصلة والحامي فلما اراد الله تعالى ابدال ما بهم من الضلالة بالهدى ومن الشر بالخير ومن الجهل بالمعرفة ظهر صاحب الرسالة عليه الصلاة والسلام وجاءنا بالبينات والهدى . وبعد الفتوحات الحجيدة التي اقامها الخلفاء وتكلم بها صدر الاسلام اخذ العرب بالاشتغال لاستدراك اسرار الكتاب بما ذكر في محكمه من صفات الحق سبحانه وتعالى اذ انه ورد في القرآن الشريف وصف الحق المصوب بالتره المطلق الظاهر الدلالة من غير تأويل تحقنقا الآية وارشدوا اليها وآمنوا بها الا انه عرض بعد ذلك خلاف في تفاصيل هذه العنائد أكثر مشارها من الآيات المشابهة (كنا ذكوة ابن خلدون) فدعا ذلك الى الخصام والناظر وشذ عن الآية لعصرهم مبتدعة اتبعوا ما تشابه من الآيات وظهرت الفرق والعنائد . فأول فرقة حدثت القدرية وأول من قال بالقدر معبد ابن خالد الجعفي ومعنى القدر هنا ان الانسان يخلق اعمال نفسه وان لا يحتاج في ذلك الى معاونته سبحانه وان الامر انفة اي ان لم يقدر على خلقه شيئا . وتناقض هذه الفرقة الجيرة الثالثة بالخبير وذلك في اواخر الدولة الاموية قبل المئة من الهجرة وهو القول بنفي استطاعة العبد وان لا يس له قوة العمل ونفي الاختيار له ونفي الكسب بل ان افعاله تكون بما جبر وهو بنفي الصفات الالهية كلها وبوانه لا يجوز ان يوصف البارئ تعالى بصفة يوصف بها خلقه وأول من قال ذلك جهم بن صفوان فنسبت هذه الفرقة اليه . ثم ظهر الصفاتيون او المشبهة وفي فرقة مناقضة للجيرة وتوغلوا في التشبيه فاخذ قومها بظواهر الآيات من صفاتو تعالى فوقعوا في التجسيم الصريح ولكنهم احمجوا المشاعة مفاهم بانهم جسم لا كالا جسام

ثم انه ظهر مذهب الاعتزال الذي عقائده تابعة للفرق السابقة وخصها القدرية بالتول بخلق الافعال من خير وشر واهم هذه العقائد التول بنفي الصفات عن ذاتي تعالى كالجبرة . ولذلك دعوا انفسهم اصحاب العدل والتوحيد ورئيس هذه الفرقة واصل ابن عطاءويه سُميت بالواصلية وُلد سنة الثمانين للهجرة وتوفي سنة ١٢١ وكان من تلامذة الحسن البصري الذي لما سمع هذه العقائد عنه وعن قومه قال اعتزل هؤلاء مجلسنا ولذلك سموا بالمعتزلة . وغلاة المعتزلة تعتقد ان المعارف كلها عقلية (اي من اعمال العقل) حصولاً ووجوباً قبل الشرع وبعده . وقد استخدم المعتزلة لانبات نخلتهم المناظرة والمجدل فظهر بذلك علم الكلام والمناظرون بهذا العلم هم المتكلمون وسمي بذلك لانه كلام صرف لا عمل فيه . وهو على طريقتين طريقة المتقدمين القائمة بالتحجج على اهل البدع والفرق والنحل وطريقة المتأخرين التي نشأت بدخول الفلسفة اليونانية فنذكر تلك عند ذكرنا هذه

فما سبق رأينا ان عقول العرب قد داخلها الاستعداد للعلوم الفلسفية اذ اشتغلت مدة بالمجدل والمناظرة والابحاث العقلية والنظر في الالهيات فلما قويت شوكتهم واخذوا من الروم ملكهم فيما اخذوا للامم ونجح عزمهم ونالوا من الحضارة حظه وتفتنوا في الصنائع والعلوم نشروا الى الاطلاع على العلوم الحكيمية بما تميل وتسمو اليه افكار الانسان فبعث ابو جعفر المنصور العباسي الى ملك الروم ان يرسل اليه كتب العالم مترجمة فارسل اليه كتاب اقليدس وبعض كتب في الطبيعيات فقرأها العرب واطلعوا على ما فيها وازدادوا حرصاً على الظفر بما بقي منها . وبعد ذلك في اعوام المتين من الهجرة جاء المأمون عبد الله ابن مروان الرشيد وكانت له في العلوم رغبة شديدة يجالس اهلها ويقرب مجالسهم ويعظم العلماء ويكرم الادباء فانبعث لهذه العلوم حرصاً عليها ولنايد ما يتحمله بواسطتها وبعت المترجمين لذلك فارعى ولوعب منها شيئاً كثيراً فانتشر علم المنطق واعتبروه بانه قانون ومعيار الادلة . وكان القصد من الحصول على الكتب اليونانية اجتناء ثمراتها الحسية كصناعة الطب والهيئة والطبيعيات الا انه لما كان من طبائع هذه العلوم ولوازمها تضمن الفلسفة التي يراها الافدمون انها جامعة العلوم ونبراسها نظر العرب بالفلسفة واشتمرت بينهم كتبها في عامة الامصار واقبل الناس عليها واكثروا من مطالعتها والتصنع لها وعكف النظر عليها وحذقوا في فنونها وبرعوا في موادها وكان اكثر ما يكون تويلهم على فلسفة ارسطوان ارسطاطاليس لما افتنتها طبع العرب الميال الى القضايا التصديقية (او الوضعية) اكثر منها الى قضايا افلاطون التخيلية ولأن فلسفة ارسطو عمل في المجدل المضطر اليقين الفرق والنحل . وقد حقق العلامة مونتaigne الفرنسي ان ترجمة ارسطو اخذت عن كتب باللغة السريانية نقلت اليها من اليونانية عصر الامبراطور جوستينيانوس فترجموا كتاب الاصول وكتاب العبارة والمنظومات لارسطو وايساغوجي للفيلسوف بربروس (ستاتي بنيتها)